الأستاذة: سميرة بارودي.

المتسوى: السنة الثانية دراسات نقدية .

المحاضرة: الفلسفة المثالية .

مفهوم مصطلح المثالية:

المثالية في أصلها اللغوي العربي ترجع إلى كلمة " مُثل" بمعنى فضل أي صار ذا فضل، ويقال: أمثل بني فلان أي أدناهم إلى الخير أي أقربهم له، ومنه المثالي ومعناه الشائع بين الناس، وهو وصف لكل ماهو كامل في بابه كالخُلق المثالي،اللوحة المثالية، ولكل ما يتصف بالسمو، وتعني في أصلها اللغوي الإغريقي: الصورة أو الفكر.

أما اصطلاحا فقد عرفت بأنها : مذهب القائل بأن حقيقة الكون أفكار وصور عقلية وأن العقل مصدر المعرفة كما عرفت بأنها مذهب يجعل الحقيقة النهائية للعالم معبرا عنها بلغة الفكرة ، والمؤمنون بهذا المذهب يعتقدون بوجود أفكار عامة وثابتة ومطلقة وهذه الأفكار وجدت بطريقة ما من قبل عقل عام أو روح عامة ، ومنه ينظر المثاليون نظرة ازدواجية للعالم فالعالم الحسي(الخبرات اليومية) عالم ناقص فليس هو العالم الحقيقي بينما العالم الكامل والحقيقي هو عالم الأفكار العلوي الذي يوجد في عالم آخر غير عالمنا، كما نظروا نظرة ازدواجية للإنسان بأنه مكون من عقل ومادة .

أن المثالية مذهب فلسفي يؤمن معتنقوه بوجود أفكار عامة وثابتة ونهائية هي جوهر الكون وحقيقته، وقد أوجدت هذه الأفكار من عقل عام أو روح عامة ، ويؤمنون بأن عالم المادة هو عالم غير حقيقي لأنه يتميز بالتغير وعدم الاستقرار .

تعد من أقدم الفلسفات الفكرية، ترجع إلى كل من سقراط وأفلاطون وتؤمن بأزلية الأفكار وكونيتها، وأن العقل حقيقة كونية وهو مصدر المعرفة الوحيد، وأن المعرفة أساس الفضيلة ،يرى المثاليون أن الأفكار تسبق المحسوسات، وأن ماهية الأشياء تسبق وجودها، ويرون أن الإنسان مكون من عقل ومادة أو روح وبدن فالروح تنسب إلى عالم الأزلي الذي لا يدرك إلا بالعقل، أما البدن فنسب إلى عالم الحس ورجعت عالم المثل على عالم الحس، لذاك اهتمت بالجانب العقلي(المعرفي) وعدت المعرفة قيمة عليا بوصفها طريق الفصيلة .

المثالية مذهب فلسفي يجعل الفكر خاضعا لتصور ذهني وحقيقة عليا فوق كل ماهو موضوعي ومادي، أما في الفن والأدب فهي تمثل نماذج ترمز إلى قوة جوهرها في الأخلاق، الدعوة إلى الكمال الإنساني، وجعله غاية أخلاقية نموذجية.

المثالية ذات اتجاهين الأول قديم وهو مذهب أفلاطون الذي انبعث على يد سقراط وأثبتت دعائمه على يد تلميذه أفلاطون، ويرى هذا المذهب أن الأفكار والمعقولات أو المثل موجودة وجوداً هو أسمى من الوجود المحسوس لأنها هي مبادئ الأصلية النموذجية للأشياء.

أما الاتجاه الثاني فهو حديث مع منهج كانطي الذي مهد له أبو الفلسفة الحديثة ديكارت في المبدأ الذي أرساه المسمى الكوجيتو(أنا أفكر إذن أنا موجود) وأبرزه باركلي في تقريره أن الوجود هو كون الشيء مدركاً ثم شيّده كانط بناءً شامخًا على أساس نقد العقل من جوانب ثلاثة: النظر والعمل والذوق

ويرى هذا المذهب أن الأشياء أو الموضوعات ليست انطباعات حسية أو أفكار لا يمكن أن تتحقق في الوجود إلاّ على نحو ما باعتبارها تمثلات ذهنية، والأشياء ليست وهو وجوده بذاتها وجوداً مستقلاً عن القوة العاقلة التي تدركها حيث أن وجودها مستفاد من هذه القوة ذاتها.

مفهوم المثالية عند مجموعة من الفلاسفة:

اسم الفلاسفة	مفهوم المثالية
أفلاطون	المثالية هي العالم مجموعة من الأفكار والصور العقلية وأن المعرفة مصدر العقل، العالم الحقيقي نموذجًا للعالم المادي يقابل وجوده في العالم الحسي.
باركلي	المثالية تعتمد على العقل في الإدراك، فمايدركه العقل فهو موجود حقيقي وعكس صحيح ، إنكاره للمادة (نظرية اللامادية).
كانط	المثالية تقوم في الأساس على الربط بين المقولات العقلية والمعرفة، وتقوم على تأسيس البناء الأخلاقي على مبدأ الواجب والارادة الطيبة .
فيشته	المثالية تربط العقل بالمطلق، يذهب إلى أنا الأنا عبارة عن مطلق حقيقي ولديه القدرة على أن تقيم ذاته، ويجعل عملية مقابلة ذاتيين: ذات وذات أو ذات وغير ذات.
شيلنج	المثالية عنده إحياء العناصر الواقعية من خلال إحداث نوع الوئام بين الطبيعة والمثالية، الأولى تنتج الثانية من خلال

	روحنة قوانين الطبيعة، فتخلع الصوري على المادي والمثالية الجانب المادي على قوانين العقل، فتجعل الماديّ صوريًا.
هيجل	ينطلق من أن الروح المطلق هو حقيقة هذا الكون ويجعل العلاقة بين العقل والمطلق تقوم على أساس الاعتقاد بأن هناك عقلاً مطلقًا أو عقلا إلهيا موجودا في الطبيعة والفكرة صورة أو مظهر له.

ومنه المثالية هي مذهب فلسفي يضطلع بنصيب كبير من الاتجاه الميتافيزيقي(ما بعد الطبيعة) الذي يرى أن هناك ارتباط وثيقًا بين الوجود والفكر ، وتقوم المثالية في الأساس على ثلاثة مباحث فلسفية وهي : الحق، الخير، الجمال .

الفلسفة المثالية عند كل من أفلاطون وهيجل :

يعد أفلاطون أحد أهم كبار الفلاسفة اليونان الذين خلدهم التاريخ فضلا عن سقراط وأرسطو، ولفظ مثالية أشتق أساسا من فلسفته في المثل، بعد أن ظهرت أرائه وأفكاره المثالية في كتابيه " الجمهورية" و "القوانين "، ومن خلالهم قدم لنا تصورا فلسفيا عقلانيا مجردا ولكنه تصور مثالي، لأنه أعطى الأولوية للفكر والعقل والمثال وقد عرف المثال بأنه" المعنى الكلي المعقول المفارق لظلاله في عالم الأشياء المحسوسة ".

إن التقسيم الانطولوجي (عالم المثل، عالم المادي) الذي آمن أفلاطون بوجوده فعالم مثالي يضم الحقائق المطلقة و الأفكار الصافية و النتائج النهائية، و أن العالم الواقعي (المادي)ما هو إلا صورة مشوهة للحقيقة لأنه متغير و زائل و منتهي، فوجب على الفلاسفة البحث عن الحقيقة بعيدا عن العالم الواقعي، فارتبط التفكير عنده بالأخلاق(القيم) و المعرفة و الفضيلة، و لم يؤمن بغير هذه المبادئ و انتهى التفكير عنده سعيا في سبيل رسم حدود هذه الحقائق، و البحث في أصل الفلسفة الأفلاطونية يدرك أن آراء سقراط هي موجه هذه الأفكار، واعتقد أن الفلسفة الأفلاطونية ترديد لما قاله سقراط .

و لأن الأفكار لا تتناقض و لكن تتكامل و تنضج مع التأمل و التجربة، جاء أرسطو ليكمل ما بدأه أفلاطون ويؤمن بوجود فلسفة مثالية لكن ليست بالصورة التي رسمها أفلاطون، و لكن الأمر يختلف، و لعل اسم النظرية التي ارتبطت بهما يوجز أفكارهما، نظرية المحاكاة، العالم الواقعي يحاكي العالم المثالي إذ يشوهه، أما أرسطو فيرى أن العالم الواقعي وجد مشوها، و أن الفنان يقوم فاستكمال النقص الموجود في الطبيعة، و انطلق هذا التفكير من مقاربة المأساة اليونانية، فتكون أولى صور التفكير البشري، رغم أنها عبارة عن طقوس دينية أو احتفالات دينية، لكن الفلاسفة اليونان انطلقوا في بحثهم عن الحقيقة من هذا النموذج.

وبنزول الدين الجديد(المسيحية) لم يعد للفلاسفة مكان في عالم يلتحم بالتفكير الروحي، و يؤمن بخضوعه المطلق لإرادة غيبية، انتهت كل الأفكار الفلسفية و استسلم العالم الغربي لأوامر آباء الكنيسة، و صارت محاكم التفتيش الوصي على سلوكات البشر و أفكارهم، فدخلت أوروبا سباتا دام طويلا، كانت الفلسفة فيها عدوا و كفرا وجب الوقوف في وجهها، لأن منتهى التفكير الديني هي الخضوع المطلق و في مقابلها تكون الفلسفة تحريرا لفكر هذا الإنسان و استمر الأمر كذلك إلى حين دخلت أوروبا مرحلة جديدة، مرحلة الوعي و الذي كان نتيجة تطاول آباء الكنيسة و ادعائهم الألوهية و صار التدين واجهة تخفي بداخلها الممارسات غير الشرعية من ظلم و استيلاء على الحقوق الفردية و الجماعية تحت غطاء الدين، و فكانت ممارسات آباء الكنيسة أهم الأسباب التي قضت على مملكة الدين الجديد في ذلك العصر، و كان آباء الكنيسة أنفسهم هم من حملوا شعار التنوير في عصر النهضة بدءا بالنهضة الدينية و بعدها السياسية و بعدها الاقتصادية .

سيرسخ هيجل بدوره هذه المكتسبات التنوير، مستدركا على مستوى نظرية المعرفة شروطا جديدة منها:

1-الاعتماد على المنطق، لا على الرياضيات، لأن استعمال المقولات الرياضية من أجل تحديد المنهج أو من أجل مضمون العلوم الفلسفية...يجب على فلسفة أن تستعير عناصرها من المنطق .

2-الاعتماد على الجدل والتناقض، لأنه إذا كان البحث عن "الشيء في ذاته" يقودنا إلى التناقض دائما،فلماذا يجب أن نستنتج من ذلك عجز العقل بدلا من اعتبار التناقض واللامعقول هما الجوهر النهائي للأشياء؟ .

فالسعي وراء الحرية كان أول هدف سعى الإنسان إلى تحقيقه، بعد أن مل القيود الدينية الظالمة، التحرر من سلطة الكنيسة، و كشف زيف ادعاءات آباء الكنيسة، فكان الانقلاب و الشقاق الذي حل داخل الكنيسة بين آباء الكنيسة المخرج من هذا المأزق الذي أحاط بالإنسان، و منه نبرغ أبرز الفلاسفة العقلانيين، و ديكارت كانط هيجل...(الحرية عند هجيل تبقى مرهونة بسلطة الدولة حيث يطرح مفهوم "حيلة العقل"فيم يخص علاقة الدولة بالمجتمع المدني ، في حين يقدم الدولة كعالم من الحرية، فإنه في المقابل يصف المجتمع المدني بعالم الضرورة)، والذين أعادوا إحياء الأفكار الأرسطية من جديد أرضية صلبة اتكأ عليها في سبيل البحث عن مخرج يقود البشرية إلى بر الأمان، و انتهج هؤلاء الفلاسفة من أجل بناء ركائز لتفكيرهم على طرق يتم العودة فيها لاستقراء الماضي ثانية و العودة بجواهر ما نتهى إليه التفكير الفلسفي اليوناني.

قائمة المراجع :

1-د.أميرة حلمي مطر، الفلسفة اليونانية، تاريخها ومشكلاتها .

2-محمود كيثانه، المثالية، مفهومها وأنواعها وفلاسفتها .

3-تر: فؤاد كامل، الفلسفة الألمانية الحديثة.

4-يوسف حامد الشين، مبادئ الفلسفة.

5-نادية عبد الهادي عبد السلام، المثالية المطلقة قي الفكر الفلسفي الحديث-عرض وتحليل-.

6-انظر معحم الوجيز، ومعجم الفلسفي لجميل صليبا.